**خطبة سعيد بن المسيب.**

**الخطيب: الشيخ يحيى سليمان العقيلي**

وقفتنا اليوم عباد الله مع سيد التابعين، وإمام من أئمة المسلمين الأعلام، أدرك ثلة من الصحابة الكرام، وحظي بمصاهرة أكثر الصحابة ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم وحديثا له، إنه سعيد بن المسيب عباد الله، ومن لم يسمع بسعيد بن المسيب،

نعيش لحظات معه في علمه وتقواه، وعبادته واستقامته، ليكن معلما من معالم الطريق ومشعلا من مشاعله،

أدرك سعيد بن المسيب منذ نعومة أظافره عباد الله أنه لا يوجد مصيبة أعظم من الجهل، فأنفق عمره في تحصيل العلم، يقول في ذلك عن نفسه (إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد)

وفى كنف الصحابة أخذ ينهل من نبع العلم الصافي، فسمع من عثمان وعلي، وزيد بن ثابت وسعد بن أبى وقاص، وعائشة وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم جميعا كما كان زواجه من ابنة الصحابي أبى هريرة رضي الله عنه المنحة الربانية التي هيأت له الفرصة لسماع مئات الأحاديث من ذاكرة الوحي، حتى صار أثبت الناس وأعلمهم بحديث أبى هريرة رضي الله عنه،

كما حظي سعيد برؤية عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان مغرما بتتبع أقضيته رضي الله عنه وتعلمها، حتى قيل له (راوية عمر) وكان عبد الله بن عمر يرسل إليه يسأله عنها، قال أبو طالب قلت لأحمد بن حنبل: سعيد بن المسيب عن عمر حجة؟ قال: هو عندنا حجة قد رأى عمر وسمع منه إذا لم يقبل سعيد عن عمر فمن يقبل؟

معاشر المؤمنين

كان ابن المسيب آية في الصلاح والتقى،

وإيثار الآخرة على الدنيا التي لا تساوى عند الله جناح بعوضة، فلقد ألزم نفسه التقلل من حلالها، والإعراض عن حرامها وحطامها،

يقول ابن كثير (كان سعيد بن المسيب من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه، وكان من أزهد الناس في فضول الدنيا والكلام فيما لا يعنى، ومن أكثر الناس أدبا في الحديث، جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث فجلس فحدثه ثم اضطجع فقال الرجل: وددت أنك لم تتعن، فقال: إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع، وقال برد مولاه: ما نودي للصلاة منذ أربعين إلا وسعيد في المسجد، وقال ابن إدريس: صلى سعيد بن المسيب الغداة بوضوء العتمة خمسين سنة)

وقد بلغ حب العبادة شغاف قلبه فلم يفتر عنها لا في سراء ولا ضراء، يقول رحمه الله (ما فاتتني التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت إلى قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة)

أما الدنيا فمالها وسعيد بن المسيب فلقد كان يعيش من كسب يده له أربعمائة دينار يتجر بها فى الزيت ويقول عن هذا المال (اللهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلا ولا حرصا عليه ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بنى مروان، حتى ألقى الله فيحكم فيّ وفيهم، وأصل منه رحمي وأؤدي منه الحقوق التي فيه، وأعود منه على الأرملة والفقير

ومن مواقفه الشهيرة في ذلك قصه تزويج ابنته، وقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان تقدم لخطبتها لأبنه الوليد حين ولاه العهد، ويذكر المؤرخون أنه أرسل موكبا كبيرا على رأسه مندوب خاص نزل المسجد ووقف على حلقة سعيد، فأبلغه سلام أمير المؤمنين وأنه قدم يخطب إليه ابنته لابنه الوليد ولى العهد وانتظر الناس أن يستبشر سعيد بهذا التشريف الذي ناله ولكنه لم يزد على كلمة (لا).

وكان لسعيد تلميذ متين الدين والخلق يدعى عبد الله بن أبى وداعة، افتقده أياما، فلما عاد إليه قال له سعيد: أين كنت؟ فقال توفيت زوجتي فانشغلت بها، قال سعيد فهلا أخبرتنا فشهدناها، ثم أراد التلميذ أن يقوم، فقال سعيد هل أحدثت امرأة غيرها، قال يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال سعيد إن أنا فعلت تفعل؟ قال نعم فأمر بالشهود وكتابة العقد، قال ابن أبى وداعة: فقمت وما أدرى ما أصنع من الفرح، وصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ وأستدين؟

وصليت المغرب. وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزا وزيتا، وإذا بالباب يقرع فقلت: من هذا فقال سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنه إلا ما بين بيته والمسجد،

فقمت وخرجت وإذا بسعيد بن المسيب ، وظننت أنه بدا له ، فقلت يا أبا محمد هلا أرسلت إلى فأتيتك ، قال لا أنت أحق أن تزار ، قلت فما تأمرني، قال رأيتك رجلا عزبا قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك ، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران فجاءوني فنزلوا إليها ، وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام ، فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج.

وفقنا الله لرضاه وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

معاشر المؤمنين

فقه سعيد بن المسيب حقيقة الدين وجوهره، وأن العبادة الصحيحة هي التي تثمر الخشية لله تعالى والاستقامة وحسن الخلق، وليست بكثرة الركوع والسجود، فعن مالك بن أنس قال: قال برد – مولى ابن المسيب – لسعيد بن المسيب ما رأيت أحسن ما يصنع هؤلاء قال سعيد وما يصنعون؟ قال يصلى أحدهم الظهر ثم لا يزال صافا رجليه يصلى حتى العصر فقال سعيد ويحك يا برد! أما والله ما هي بالعبادة، تدري ما العبادة؟ إنما العبادة التفكر في أمر الله والكف عن محارم الله.

ومن أقواله وحكمه " من استغنى بالله افتقر الناس إليه " وقوله " ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله ولا أهانت أنفسها بمثل بمعصية الله "وكان يقول لتلاميذه: "لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكارٍ من قلوبكم؛ لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة".

ذلكم عباد الله سعيد بن المسيب نذكره ليقتدي به، ونثني عليه ليتأسى به

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم \* \* \* إن التشبه بالكرام فلاح